

سلسلة: أشهدُ أنَّ دمَكَ سكَنَ في الخُلدِ (5) الشيخ عماد الهلالي



(5) سلسلة: أشهدُ أنَّ دمَكَ سكَنَ في الخُلدِ

الشيخ عماد الهلالي

5- (أشهدُ أنَّكَ حجَّةٌ أُقَامُ وَا بِنِ حَجَّتِهِ.)

حجَّةٌ أُقَامُ أَي مَا يَحْتَجُّ أُقَامُ بِهِ عَلَى الْعِبَادِ.

وفي أي موضوع؟

قد يقال أنه يحتج عليهم إذا أذنبوا، أو إذا أنكروا الخيار الديني الصحيح، أو إذا قالوا ما جاءنا من نذير وليس لنا من يعلمنا، وقد يكون في الإيمان باء عز وجل تكويناً.

أمّا حجّة الباء على من أذنب فهو أن يقال له أن الحسين (عليه السلام) مرّ بطروف قاسية ومع ذلك التزم طاعة الباء ولم يعصه ولم يتهاون في دينه، فلا عذر للمذنب حينها، وهذا الاحتجاج قد يكون يوم القيامة وقد يكون في نفس المذنب حين يريد أن يبرر لنفسه فإنه سيحضر في نفسه موقف الحسين (عليه السلام)، وهو من رشحات الوعي في يوم القيامة أيضاً.

وأمّا حجّة الباء في التكليف والخيار الديني فإنه (عليه السلام) كان واضح المسار في رفض بني أمية ورفض الإسلام الأموي فإذا جاء شخص وقال أنني لا أعرف الإسلام وما هو موقفه من كذا وكذا لأن الحكام المسلمين فعلوا ما لا أقبله وما لا حجة فيه، فيقال له إنك لا يمكن لك أن تحمل الإسلام أفعال بني أمية لأن الحسين (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة رفض هذا النموذج المزيف للإسلام، وهذا إحدى الحجج من هذا المستوى.

وأمّا حجّة الباء على من يدعي أنه ما جاءه من نذير، فإنه سيقال له إن الحسين (عليه السلام) نذير لك ومنبّه لك على أهمية الإيمان بباء والقضية الدينية التي كانت حاضرة عنده بحيث لم يتنازل في سبيلها أي تنازل، وقد وصلت قصة الحسين (عليه السلام) ومواقفه إليك وكان ينبغي عليك أن تبحث عن سرّ الصراع الدامي، فليس من المعقول أن ملحمة مدوية مثل الطف تحصل وأنت لا تسمع عنها شيئاً، ولو اطلعت عليها

لعلمت بسهولة أين يكون الحق وأين يكمن الباطل، ولا تأتي البطولات والنبيل الذي جاء به الحسين إلا من الحق، ولا تأتي الخسة والندالة التي جاء بها أعداء الحسين إلا من الباطل، فكان يمكنك معرفة الحق والباطل وخطورة القضية الإلهية من هذه القضية أو على الأقل كانت ستنبهك وتبعثك على البحث والتنقيب، وستثيك فيك دوافعها العاطفية والعقلية.

وأما الحجّة التكوينيّة على الإيمان فإنّ سبحانه لا يُعرف بصورة ولا بوهم وخيال، وهناك شيء في الأنفس يجعلها تؤمن بالله عز وجل إذا قدمت المقدمات وأزالت الموانع عن منبهاته وموجهاته، وهذا الارتباط كأنه من يد الغيب ومن عطاء الله عز وجل، وهو موجود في كل نفس.

ومع الإيمان بالله هناك نذير ومنبّه إليه بحيث لا يمكن إهماله، وهناك شوق وحب للوصول إلى قربه، وهذا المقامات وإن كانت موجودة في سلسلة الخلق والتنزل إذ أن أول ما خلق الله النور ثم أقامه في مقام القرب ثم في مقام الحب ثم في مقام الرجاء.. ولكن ليس من السهل أن يعود الإنسان القهقري، فكان للأنبياء دور في تعبيد طريق العودة، وإظهار تلك المقامات في النفوس بقوس صعود أو طريق عودة مناظر، وبداية العودة تكون من إلفات النفوس إلى آيات الله في الخلق وأسمائها الملكوتية وهي أول تأسيس من آدم (عليه السلام) ثم تتابع الأنبياء لإظهار طريق العودة إلى الله، حتى وصل الأمر إلى الإمام الحسين (عليه السلام) فأدى أمانته القديمة بإظهار مقام الحب والفناء في الله للوصول إلى قرب لا تحول بينه وبين الله فيه الأناية.

ومار ذلك المقام حجة الله على الناس في مقام الحب، وظهر نوره في النفوس ببركة الحسين (عليه السلام).

ولو أن البشرية انحرفت عن طريق العودة إلى الله لكان ذلك أقرب إلى هلاكها وإفنائها لأن المسيرة الكونية والسموات والأرض وكل شيء قائم بالحجة كما في الحديث، وقيامه بالحجة وقوامه يعني أن كل تنزلاته التكوينية مشتقة من تلك الحجة الأولى وآخرها الحجة التي تناسب ذلك الشيء في الفعل والصفة والموقف المحدود، ولولا الحجة لساخت الأرض بأهلها. وهذا الموضوع من أثرى المواضيع العقائدية ولا بد من التركيز عليه والتوسع فيه، وإن لم يتسع المجال الآن فسنعود له في آونة أخرى إن شاء الله تعالى.

